Journal Of the Iraqia University (71-4) September (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

حياة هشام بن الحكم واثر مفاهيم العقل في القرآن الكريم

حميد علي الطلقاني
- قسم الفلسفة وكلام اسلامي - جامعة الأديان والمذاهب - إيران
 د.حميد رضا شريعتمداري أستاذ دكتور ، جامعة الأديان والمذاهب

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة واقعية وبحثية حول اثر حياة هشام بن الحكم وتاثير المفاهيم التي اطلقها في جانب العقل على القران الكريم فمن هذا الجانب نجد ان نظرية العقل الحقول الدلالية في القران الكريم ورصد الوحدات المعجمية التي تتصل بها دلاليا حسب سياقها القرآني ، والاهتمام بهذا الموضوع مردوده ومرجعه أهمية العقل بوصفه أداة التفكير والعقال فمن خلاله نستنتج الرايالراجح الذي يمكن الوقوف على الآراء الدلالية والفلسفية المحكمة، لان النص القرآني حافل بالآيات التي تحث على التدبر واعمال العقل والتفكير، والبحث يحاول الإجابة على عدد من الأسئلة مثل: ما هي الوحدات المعجمية التي تعبر عن مؤامن (مكونات) العقل؟ وهل هناك ترادف بين بعض الكلمات وكلمة (عقل)؟ ما هي الوحدات المعجمية التي تعبر عن صفات العقل؟ وماهي الوحدات المعجمية التي تعبر عن امراضه؟ ولتحقيق تلك الأهداف والاجابة على هذه الأسئلة، تطلب الامر استخدام المنهج بها، ووصف ذلك رقميا من خلال جداول لبيان حجم العلاقة الدلالية بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى، لينتهي البحث بخاتمة متضمنة اهم النتائج التي تم التوصل اليها.**الكلمات المفتاحية : حياة ، هشام بن الحكم ، مفاهيم ، العقل ، القران الكريم .**

Abstract

tanawal hadha albahth dirasatan waqieiatan wabahthiatan hawl eamal hayaat hisham bin alhakam watathir almafahim alati aitalaqatha min janib al'aeda' ealaa alquran alkarim famin hadha aljanib najid an nazariaat alfarq bayn aldalaliat fi alquran alkarim warasd alwahadat almuejamiat alati taseaa 'iilaa dalaliana hasab siaqiha alqurani, wanarghab fi hadha almawdue marduduh wamarjieuh muraeaat alaietibarat almutanawieat bi'adaat waleiqal mundh khilalih n nakhtalif alraayalraajih aladhi yumkin 'an yatabanaa alara' aldalaliat walfalsafat almueasiratu, alnas alqurani hafil bialayat alati tahuthu ealaa altadabur waemal al'aeda' waltafkiri, wayuhawil al'iijabat ealaa eadad min al'asyilat mithla: ma hi alkalimat almaejamiat alati ean mayamin (mkunati) al'aeda'i? wahal hunak turaduf bayn baed alkalimat wakalima (eaql)? ma hi alwahadat almuejamiat alati hi 'abyat ean alsafati? wamahi alwahadat almuejamiat alati qasidat ean amiradihi? walitahqiq tilk alnatayij wal'iijabat ealaa hadhih al'asyilati, talab al'amr aistikhdam altatbiqat biha, wabialtaali dhalik raqmiana min khilal jadawil libayan hajm aldalalat bayn hadhih alkalimat walkalimat al'ukhraa, liantahi albahth bijuz' mutadamin 'ahami ma tama alailtizam bihi Keywords . : hayat , hisham bin alhakam , mafahim , al'aeda' , alquran alkarim

المُقدّمة

ان اللغة هي المبنى الذي من خلاله يستطيع بها الانسان التعبير عما يدور بداخله ويلوج في تفكيره، ومن ثم يتعارف ويتواصل ويتفاهم الأشخاص من خلالها مع غيره من بني جنسه، وللغة مبانى تتكون منها، اصغرها البنى الصوتية التي يتبادل من خلالها الأفكار والتعابير، فتتضافر مكونة الكلمات التي تتداخل بدورها لتكون الجمل، ومن الطبيعي ان تنطوي اللغة على الجمل والدلالات ، اذ ان اللغة بغير الدلالة لا تعد لغة ، فالدلالة هي الأساس في التواصل والتفاهم بين المجتمعات البشرية ويجد العقل عنوانه بين خلجات هذه التعابير والمفاهيم والجمل، ونظرا لأهمية الدلالة جاءت نظريات لغوية عديدة هدفها الوصول الى المعنى عبر سير اغوار النصوص، ومن هذه النظريات نريه الحقول الدلالية، التي سنقوم بتطبيقها على كلمة (عقل) . وما يتبعها من كلمات في القران الكريم.وبما ان العقل هو الضابط للمكونات الإنسانية، انحاز الفلاسفة له بداية من الحضارة اليونانية القديمة، حتى الحضارة الغربية الحديثة بوصفه عندهم الأداة الوحيدة للإدراك والمعرفة والتأمل والتفكير، اما في تراثنا العربي الإسلامي فقد راد هذه الاتجاه العقلاني جماعة (المعتزلة) ، على الرغم من اتفاق فلاسفة المعتزلة مع فلاسفة اليونان القدماء وفلاسفة الحضارة الغربية في اعلاء

قيمة العقل الا ان المنطلق كان مختلفا، ففي الوقت الذي يرى فيه فلاسفة اليونان والفلاسفة والغربيون ان العقل الإدارة الوحيدة للوصول الى الحقيقية، انطلق فلاسفة المعتزلة على درب التفلسف والابداع الفلسفي من (النقل) وهو القران الكريم الذي اعلى من مقام العقل ، واستطاعوا من خلال هذه العقلانية الإسلامية النهوض بمهمة مجادلة الفلاسفة واللاحوتيين من اهل الملل الأخرى، وان يقفوا سدا مانعا في وجه افتراءاتهم ، كما كان لهم فضل نشر الإسلام في بلاد كثيرة[١] بيان المساءلة إن المتأمل للشريعة الإسلامية بمصادرها الراسخة، يعلم أنه ما من دين كرم العقل واحترمه، وفتح له الآفاق، ودلَّه وأرشده للغايات العظمى في الوجود مثل الإسلام، ويظهر ذلك جليًّا في نصوص الوحيين، فالقرآن الكريم كما أنه كتاب هداية للبشرية من ظلمات الغي والضلال، فهو كتاب خاطب العقل في كثير من آياته، وحثَّه واستثاره على التأمل والتفكر في دلائل الوجود، وفي الآفاق وغيرها، إنه كتابٌ فيه مرتعٌ خصب للعقل الراجح وبناء لملكاته، وتقويم لاعوجاجه، وقد تنوع الخطاب القرآني للعقل، فالمتتبع لآيات القرآن يتَّضح له أن القرآن لم يكتف بذكر لفظ العقل، بل استحثه وخاطبه بمرادفاته؛ كالألباب والحجى والنُّهى، وغيرها ، وإن أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وآله سلم هو هذا القرآن الذي خاطب العقل بالحجة والبرهان ، ولنقرأ هذه الآيات التي توضح الموقف الجاهلي لمّا أرد أن يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزات حسية تفهمه هذه العقلية الجاهلية؛ يقول تعالى :﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٠ –٩٣]وتعد إشكالية التجديد بحق من أهم الإشكاليات التي شغلت المفكرين المعاصرين وبالخصوص العرب منهم، وطالما أن هذه المسالة تقتضي النظر الفلسفي في أسباب التقدم والتخلف للشعوب، كان لزاما على مفكرينا طرق المنهج نفسه، فبدلا من وصف الدواء، لابد أولا من الوقوف على تشخيص العلة والتبصرة بها، إذ كلما كان التعرف عليها أدق كان توصيف الترياق لها أنفع وأشفى، والعكس بالعكس. وبهذا سنستعرض أحد هؤلاء المفكرين المجددين العرب، الذين أرادوا بحث علل التخلف بدقة رياضية وإبستمولوجية، وسنجده ينتقد التقليد التجزيئي للتراث، أو للحداثة، ويدعو إلى التجديد المعرفي أو الإبستمولوجي الذي يبنى على منطق التحليل الرياضي لآيات الكتاب المطلق والمعادل للوجود الكوني وحركته، وليس المبني على ذلك المنطق التفسيري السائد، الخالي من روح التحليل المنطقي، والمنطلِق من المسلمات الظنية، والموصول بذلك إلى نتائج ريبية، إبستمولوجيا المنطق التحليلي الدقيق، المتعامل مع لغة القرآن بمنطق تحليلي للمفردات الموقعة في كلية الكتاب المطلق(القرآن الكريم) كتموقع النجوم في الكون المعادل لهذا الكتاب المهيمن، وبعد مصادرة مطلقية القرآن، تبقى الآليات اللازمة متجلية في إسقاط المناهج التحليلية على مضامينه، واستقراء ما يرمي إليه فحواه اللامتناهي، أخذا بأمره الأول . سبحانه . "اقرأ بذلك قادرين على أن نلبي طموح فقرات هذا البحث.

اهمية البحث

يتم إبراز أهمية البحث من خلال بيان النقاط الآتية:

١– وجوب البحث في الحقل العلمي المنتمي إليه العقل.

٢– من اساسيات البحث قياس العناوين البحثية الأخرى المنتمية للحقل العلمي نفسه.

مشكلة البحث

ان هشاما بن الحكم وهو من أصحاب الاماميين الصادق والكاظم (عليهما السلام) قد حكم العقل لانه هو جوهر الإنسان وأصل أسس حياته، ومعيار القيمة، ودرجات الكمال، ومعيار تقييم الأفعال ومقدار العقوبة وحجة الباطنة لله فى الانسان وإغلاقه اوعزله الحرمان من أفضل النعم. العقل هو ما يميز البشر عن سائر الحيوانات وبسببه يكون الإنسان متفوقًا على جميع ماسوى. ما اجمل ما قال علي عليه السلام في توصيف العقل في مواضع كثيره : غايَةُ الْفَضائِلِ الْعَقْلُ ، كَمالُ الاِنْسانِ الْعَقْلُ ، اَفْضَلُ النِعَمِ العَقْلُ ، مِنْ كمال النِعَم وُفُورُ الْعَقْلِ ، لا غِنى كالعَقْلِ ، الْعَقْلُ اَحْسَنُ حِلْيةٍ ، العَقْلُ رَقِيٌّ اِلى عِلّيين، العَقْلُ شَرَفٌ كَرِيمٌ لا يبْلى ،العَقْلُ فَضيلَةُ الانسانِ ،لا نِعْمَةَ اَفْضَلُ مِن العَقْلِ، لا جمالَ اَزْيَنُ مِنْ العَقْلِ، العَقْلُ يَهْدى و يُنْجى، العَقْلُ يُوْجِبُ الحَذَرَ ،بالعَقْلِ كَمالُ النَّفسِ، بِالْعَقْلِ يُسْتَخْرِجُ غَوْرُ الحِكْمَةِ ،العَقْلُ اَصْلُ العِلْمِ و داعَيةُ الْفَهْمِ؛ بالعُقولِ تُنالُ ذُرْوَةُ العُلُوم، العَقْلُ غَريزةٌ تَزِيدُ بالعِلْمِ و التَّجارُبِ ،العَقْلُ اَجْمَلُ زينَةٍ ،العَقْلُ خَليلُ المُؤمِنِ.النظر في الدور المهم والقيّم للعقل ومكانته فى قرآن الكريم بعثنا الى ان نبحث حول معنى و معرفة مكانة العقل وثم التطبيق على حديث الأمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام ابنِ الحَكَمِ ، و سبب اختيار هذه الرواية من بين اخواتها باعتبار أن المخاطب فى هذه الرواية كان عالم مفكر ومفسر و كثرة مناظراته مع المخالفين لاتنكر حيث كان لسان الشيعة الناطقين والعقل النير في زمانه و هو هشام ابن الحكم و لاجل هذا تكون الرواية شمولها على أطراف و نكت دقيقة و حساسة للدور المهم و مكانة العقل و استنادها بآيات كثيرة من القرآن. ، هذا الحديث المفصل يحتوي على ٣٢ قطع الذى يخاطب بها الامام عليه السلام هشام ابن الحكم و مذكور فى اكثر من خمسين كتاب و

منها كتاب اصول كافى لكلينى رحمة الله عليه . الحديث يشتمل على مباحث شتى كبشرى للعقلاء ، توبيخ الجهال ، مدح الاقلية و هم العقلاء ، توبيخ الاغلبية و هم الجهال، توصيف العقلاء ، مناهج معرفة الله و هكذا من المباحث التى تبحث تحت عنوان عقل النظرى و عقل العملى.

هدف البحث:

ان هدفنا من الدراسة هو اظهار المفاهيم التي انتهجها هشاما بن الحكم وهو من أصحاب الاماميين الصادق والكاظم (عليهما السلام) وتاثير العقل في القرآن الكريم و تطبيقه على حديث هشام بن الحكم ، حيث إن المتأمل للشريعة الإسلامية بمصادرها الراسخة، يعلم أنه ما من دين كرم العقل واحترمه، وفتح له الآفاق، ودلَّه وأرشده للغايات العظمى في الوجود مثل الإسلام، ويظهر ذلك جليًّا في نصوص الوحيين ، وان كتاب الله خاطب العقل في كثير من آياته، وحثَّه واستثاره على التأمل والتفكر في دلائل الوجود، وفي الآفاق وغيرها، إنه كتابٌ فيه مرتعٌ خصب للعقل الراجح وبناء لملكاته، وتقويم لاعوجاجه، وقد تنوع الخطاب القرآني للعقل، فالمتتبع لآيات القرآن يتَّضح له أن القرآن لم يكتف بذكر لفظ العقل، بل استحثه وخاطبه بمرادفاته؛ كالألباب والحجى والنُّهى، وغيرها

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسا السابقة التي تناولت موضوعات في ضوء نظرية الحلول الدلالية منها:

١- محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة ١٢٩٦هـ، له مصنفات كثيرة؛ منها: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، و(التحرير والتنوير)، توفي سنة ١٣٩٣هـ؛ يُنظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤)

٢ – بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ١ – الصفحة ١٣٢

٣ – مقال : سمير مثنى علي الأبارة ، دلائل حجية العقل ، ٢٠١٦/٥/١٤ ميلادي – ١٤٣٧/٨/٦ هجري ، إن موضوع حجية العقل من وجهة نظر الإسلام ثابت في مقامه، ولم يتردد علماء الإسلام من الابتداء إلى الآن – باستثناء قليل منهم – في سندية العقل، واعتبروه أحد المنابع الأربعة (الأصل :(الدعوة إلى التعقل من قبل القرآن – الاستفادة من نظام العلة والمعلول – فلسفة الأحكام –النضال مع انحرافات العقل)

٤ – الشيخ عبد الله نعمة ، هشام بن الحكم ، من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية ، دار الفكر اللبناني ، ط ٢ – بيروت – لبنان ، ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

٥ – الكليني والكافي – الشيخ عبد الرسول الغفار – الصفحة ٣٣٧ ، تحدث عن تحامل بعض الكتاب في التشنيع على مذهب الإمامية بل أن بعضهم ممن كتب في الفرق والمذاهب قد بالغ في نسبة التجسيم إلى هشام بن الحكم، ونسب إليه بعض المقالات المنافية لأصول الاسلام والتي لا يقرها العقل، وكان الغرض من ذلك رمي الامامية بالتشبيه والتجسيم من خلال هشام.

هشام بن الحكم، من أبرز تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، وقد وردت في حقه عدة روايات مدح وثناء من الإمام عليه السلام، منها قوله عليه السلام: " لا تزال يدا بروح القدس يا هشام ما نصرتنا بلسانك ".

خطة البحث

وتاسيسا على ما سبق سوف نقسم هذا البحث الى مقدمة ومطلبين وفروع حسب مايقتضيه البحث ، وخاتمة تتضمن نتائج وتوصيات، وكما يلي: المبحث الأول تناولنا فيه التعريف في حياة هشام بن الحكم وقد احتوى على فرعين الأول التعريف بنسب هشام بن الحكم وجاء في الفرع الثاني هشام بن الحكم وتاثيره الأنظمة السياسية اما المطلب الثاني تطرق الى هشام بن الحكم وعلم الفلسفه و الكلام واحتوى على فرعين الاول هشام بين الفلسفة والكلام اما الفرع الثاني العصر الثقافي لهشام بن الحكم .

منهجية البحث

من خلال دراستنا المتواضعة سنسلك المنهج التحليلي، لبيان الأسباب، وذلك بجعل قوام البحث هو تحليل النظريات والأدلة والمقارنة بينها والاستدلال إثباتا ونفيا، والمنهج الوصفي توصيف تحقيقي للنتايج البحثية بالإضاءة على كيف القضية ومجرياتها خلال الاستناد للوقائع والاحداث التاريخية. اذن نحن امام المنهج التركيبي: وهو المنهج المركب من المنهجين أعلاه، وكذلك سنسلك منهج تجميع المعطيات: ميدانيا: والملاحظة، والمقابلة. ووسائل تجميع المعطيات: انترنت، وبرامج، وأرشيف، واسناد، والكتب المطبوعة، والنسخ الخطية، والمقالات، والمصادر العربية وغير العربية (لغات مختلفة)، والآثار المترجمة؛ والبريد الإلكتروني.

المطلب الأول: التعريف في حياة هشام بن الحكم

أكثر جوانب حياة هشاما بن الحكم وهو من أصحاب الاماميين الصادق والكاظم (عليهما السلام) غامضة، لا نعرف عنها كثيرا كما لا تعلم تفاصيل مراحلها، ولا شيئا عن أبيه وأسرته، فالمترجمون لم يعطوه عنايتهم كما أعطوها لغيره من المفكرين في الإسلام. فكان من المحتم على من يريد معرفة تاريخ حياته وظروفها أن ينقب جاهدا في بطون أسفار المتكلمين وأهل العقائد المعاصرين له أو المتأخرين عنه، أنه لا بد من ذلك للباحث ليظفر بنبذ هزيلة وعاها التاريخ فيما وعى متفرقة هنا وهناك، لا تجدي كثيرا في وضع ترجمة لهشام، إلا بعد الاتكاء على الاستنباط والمقارنة، والاستناد إلى منطق الحوادث والظروف، وسيكون

الفرع الأول: التعريف بنسب هشام بن الحكمهو أبو محمد وقيل أبو الحكم هشام بن الحكم الكندي البغدادي كما عبر ابن النديم، أو الكوفي كما عبر غيره. ويظهر من محاوراته مع رجالات العلم في عصره أن الكنية الأولى هي الغالبة عليه. وهو أحد كبار الشيعة الإمامية، ومن عظماء أصحاب الإمام الصادق، وأجد متكلمي الشيعة وبطائنهم، الذي فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج فيه.[٢] وقد اتفق مترجموه على أنه من الموالي شأن أكثر أئمة العلم والكلام والفلسفة[٣] في القرون الأولى الإسلامية، واختلفوا فيمن ينتسب إليه بالولاء، فابن النديم يقول إنه مولى لبني شيبان[٤] ووافقه على هذا جماعة.[٥]ويقول الكشى إنه مولى كندة، وأيده النجاشي وغيره، ولعل الأصوب أنه مولى كنده، ومنزله في بني سيبان كما حكاه محمد بن أبي عمير.[٦] ويبدو من بعض النصوص أنه عربي الأصل ينتمي لقبيلة خزاعة العربية فقد صرح السيد الصدر أن أصله من خزاعة.[٧]وربما يؤيد ذلك أنك لا تجد أثرا شعوبيا في آرائه، بل يبدو منه على العكس الاعتداد بالعنصر العربي، كما يظهر ذلك من تقريره في تحديد صفة الإمام حين سأله عبد الله بن يزيد الأباضي، قال في أثناء كلامه: أنه ليس أبرز من جنس العرب، ولا من بيت هاشم ولا من أهل البيت، ويتأيد من جهة ثانية بهذه الأسماء التي يحملها هو وأبوه وأخوه وولده، مثل الحكم وهشام ومحمد ، وخلت النصوص عن التعرض لأبيه، فلم يجد فيها إشارة واحدة إليه، تتناوله بترجمة قصيرة. وغاية ما هناك أنا وجدنا عمر بن يزيد الكوفي السابري[٨] يعبر عن هشام بابن أخيه في حديث له يقول: " وكان ابن أخى هشام يذهب مذهب الجهمية ".[٩]فهل تعبيره هذا يراد به ظاهره، وأنه ابن أخيه حقيقة؟ وأن الحكم والد هشام هو ابن يزيد السابري؟ أو أنه ابن أخيه لأمه؟ أم أنه تعبير مجازي دعاه إليه العطف والمودة شأنه شأن مخاطبة الكبير للصغير ؟لكن يؤيد الاحتمال الأول أنه إذا اعتيد في مقام التخاطب التعبير المجازي على النحو المذكور فليس هناك عادة في مثل هذا التعبير عن الغائب ، لذلك لم يكن هناك ما يدفع هذا الظاهر عن ظاهره. وعرفنا من النصوص أن لهشام أخا اسمه محمد بن الحكم، كان أحد رواة الحديث، يروي عنه ابن أبي عمير في الصحيح[١٠] ولم يذكر من أحواله غير ذلك ، كما أن له ولدا يدعى الحكم بن هشام بن الحكم الكندي بالولاء، سكن البصرة، وكان مشهورا بعلم الكلام، وله مجالس كلامية كثيرة تؤثر عنه، وكتاب في الإمامة.[١١]ولهشام أيضا بنت تدعى فاطمة، خطبها صديقه عبد الله بن يزيد الأباضي، فلم يجبه إلى ذلك.[١٢]ومن العسير أن نعرف السنة التي ولد فيها هشام على التحقيق، وليس لدينا نص يعين ذلك، وكل ما نعرفه أنه ناظر عمرو بن عبيد الزعيم المعتزلي المعروف المتوفى عام (٥١٤٤)وإذا افترضنا أن هذه المناظرة وقعت في نفس العام الذي توفي فيه عمرو بن عبيد وافترضنا أيضا أن هشاما كان في ذلك الحين رجلا له ملكة الاصدار والايراد في مناظرة مثل الزعيم المعتزلي، وفي دور نضجه الفكري، وأخال أن ذلك لا يتأتى في أقل من سن العشرين، وعليه فلا بد أن يكون عام ٥١٢٤ مولدا لهشام إذا صح ما افترضناه. ويظهر من كلام ابن النديم في افتراض آخر، فقد حدث: " أن الفهرست ما يدل على هشاما كان أولا من أصحاب الجهم بن صفوان ". وقد علمنا أن الجهم قتل في ترمذ عام ٥١٢٨ ، فإذا صح ما يدل عليه تعبير ابن النديم بكلمة (أصحاب فلا بد أن يكون ولد قبل وفاة الجهم بما يجعله أهلا للتقي والأخذ عنه، وذلك بالطبع لايتأتي إلا في سن من بلغ الخامسة عشرة من عمره، بعد أن نفترض أن والأخذ عنه كان في نفس العام الذي قتل فيه الجهم، وعليه فيكون موجودا في عام٥١١٣ ، وتضطرب النصوص في تحديد العام الذي توفي فيه هشام فابن النديم يقول إنه : " بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة، وقيل بل في خلافة المأمون[١٣] ووافقه على ذلك الطوسي في فهرسته بل نقل نفس عبارته. ويقول أبو عمرو الكشي في رجاله ناقلا ما يحكيه عن الفضل بن شاذان: " مات (يعني هشاما سنة ٥١٧٩ بالكوفة في أيام الرشيد "[١٤]ويقول النجاشي: " انتقل من الكوفة إلى بغداد سنة ٥١٩٩ ويقال في هذه السنة مات ".[١٥]والذهبي ذكره في الطبقة الثالثة والعشرين المشتملة على من مات سنة٥٢٢١ إلى سنة ٥٢٣١.[١٦] وهذه النصوص – كما تراها – لا تزيد البحث إلا استعجاما والسبب الرئيسى فى اضطرابها، هو أن الرجل خاف على نفسه من الرشيد المقالة له لم تعجب الخليفة العباسي، فقر إلى المدائن.ويظهر أنه قبض عليه بعد ذلك وقدم لتضرب عنقه، فأفلت وهرب، وذهب إلى الكوفة مستترا إلا عن خلطائه، وقد أصابته من جراء ذلك العلة، ولازم فراشه من أجلها إلى أن توفي ، وطبيعي والحالة هذه أن تكون سنة وفاته مجهولة. وإلى جانب هذا فقد جاء أن النظام " كان في زمن شبابه قد عاشر قوما من الثنوية، وقوما من السنمية القائلين بتكافؤ الأدلة، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هشام بن الحكم ".[١٧]وجاء أيضا أن النظام بعد أن ورد الكوفة " لقي بها هشام بن الحكم وجماعة من المخالفين فناظرهم في أبواب دقيق الكلام ".[١٨] وجاء أيضا أن النظام حضر مجلس المناظرة

التي عقدها يحيى ابن خالد وزير الرشيد، التي جمعت بين أبي الهذيل العلاف وهشام بن الحكم وبشر بن المعتمر وثمامة بن أشرس وعلي بن ميثم وسواهم.[١٩]ونحن إزاء هذه الأقوال وبالمقارنة بينها يمكننا أن نرجح ما قاله النجاشي إن وفاة هشام كانت في عام ٥١٩٩ الأسباب:

اولاً: إن ابن النديم كما سبق يؤكد أن وفاته كانت بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة وقيل في خلافة المأمون.

ثانيا: إن مترجمي النظام كادوا يجمعون على أن ولادته كانت عام ٥١٨٥ وأنه توفى عام ٥٢٢١ لكن الأستاذ أبو ريدة يذهب إلى أن النظام عرف الخليل بن أحمد قبل عام ٥١٧٠ الذي توفى فيه الخليل، حين أخذ النظام إليه ليعلمه في قصة معروفة. وقد أيد الأستاذ أبو ريدة ذلك بأرقام جديرة بالاعتناء.[٢٠]اذا وأيا كان القول في تحديد العام الذي ولد فيه النظام فإنه بالمقارنة مع ما سبق آنفا من قول البغدادي. " إنه خالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هشام بن الحكم " يجعل قول النجاشي أنه توفي عام ٥١٩٩ قريبا من الصواب.

الفرع الثاني : هشام بن الحكم وتاثيره الأنظمة السياسيةان القول بأن النظام ولد عام ٥١٨٥ فواضح ذلك. لأنه ليس بسائغ في العادة أن يكون النظام ناظر هشاما وأخذ عنه إلا وهو في سن الرجولة. وهذا يعني أن المناظرة والأخذ عنه كان حوالي سنة ٥١٩٩ كما يقول النجاشي على وجه التقريب على أقل الافتراضات بعد أن نفترض أن الأخذ عنه والمناظرة كانت في نفس العام الذي توفي فيه هشام ، وأما على ما حققه الأستاذ أبو ريدة فكذلك، لأن تعبير البغدادي السابق يدل على أن النظام بعد كبره ومضي دور شبابه الذي هو فى العادة حوالي سن الأربعين خالط هشاما وأخذ عنه، وذلك يفضي إلى أن النظام عرف هشام وأخذ عنه حوالي المدة التي حددها النجاشي على وجه التقريب. فالتحديد بعام ٥١٩٩ كما يقول النجاشي هو أقرب التحديدات للصواب، ويتفق مع حكاية ابن النديم وقيل بل في خلافة المأمون"[٢١] ويؤيد ذلك ما ذكروا في قصة وفاته الآنفة أنه اعتل وأدخل عليه الأطباء وكان يخطئ الطبيب الذي يدعي أنه شخص مرضه، ويقول إن علته هي فزع القلب مما أصابه من الخوف حين قدم ليضرب عنقه يتأيد بهذا من حيث أنه لو كانت وفاته في حياة الرشد مختفيا فما تأتي له أن يدخل عليه جماعة من الأطباء بل أن ذلك لا يتأتى إلا مع الأمن من ملاحقة الرشيد له، وذلك بالطبع لا يكون إلا بعد وفاة الرشيد، أما في خلافة الأمين أو خلافة المأمون ويحكون في سبب وفاته " أن يحيى بن خالد أرسل إليه يقول: قد أفسدت على الرافضة دينهم، يزعمون أن الدين لا يقوم إلا بإمام حي، وهم لا يدرون أن إمامهم اليوم حي أو ميت،[٢٢] فأجاب هشام إنما علينا أن ندين بحياة الإمام أنه حي حاضرا كان عندنا أم متواريا، حتى يأتينا موته، فما لم يأتنا موته فنحن مقيمون على حياته، ومثل مثالا لذلك فقال: إن الرجل إذا جامع أهله وسافر إلى مكة أو توارى عنا ببعض الحيطان فعلينا أن نقيم على حياته حتى يأتينا خلاف ذلك[٢٣] فأخبر يحيى الخليفة هارون بذلك، فأرسل من الغد في طلبه فطلب في منزله فلم يوجد، وبلغه الخبر فلم يلبث إلا شهرين أو أكثر حتى مات[٢٤] فكانت هذه المقالة سببا في غضب الرشيد عليه.وهناك رواية أخرى طويلة جدا، خلاصتها: أن يحيى وجد على هشام لأسباب أهمها طعن هشام على الفلاسفة، وميل الرشيد إليه حين سمع كلامه في النبي وإعجابه به، فكان ذلك مما دعا يحيى إلى إبعاد هشام وإغراء الرشيد به، فجمع له المتكلمين بعد أن جلس الرشيد وراء الستر بحيث لا يعلم هشام به وناظروه في الإمامة، وكان المتولي لمناظرته سليمان بن جرير متكلم الزيدية[٢٥] وبعد كلام طويل وأخذ ورد، وكانوا تأمروا على تقرير هشام في رأيه بالإمام، وعلى أن يحملوه على المجاهرة برأيه فيه، وهل إذا أمره بحمل السيف والخروج معه يفعل ذلك؟. وبعد محاورات طويلة صرح هشام بأن الإمام إذا أمره بحمل السيف يمتثل أمره ويخرج معه، والرشيد يسمعه من وراء الستر، فتغير وجه الرشيد وقال قد أفصح، وأمر يحيى بأن يقبض عليه وعلى أصحابه، وعلم هشام بما كان، فاغتنم فرصة خروج الناس فهرب على وجهه إلى المدائن ثم منها إلى الكوفة واعتل فمات في دار ابن شرف في الكوفة.[٢٦] ويأتي هذا الحديث على نهاية هشام، ولكن يظهر من حديث آخر أن هشاما قبض عليه وقدم لتضرب عنقه فأفلت بصورة لا يعي التاريخ تفصيلا لها فقد حدثوا : أن هشاما اعتل علته التي قبض فيها، فامتنع عن الاستعانة بالأطباء، فسألوه أن يفعل ذلك فجاؤوا بهم إليه، فأدخل عليه جماعة من الأطباء، وكان إذا دخل الطبيب عليه وأمره بشئ سأله فقال: يا هذا هل وقفت على علتي؟ فمن قائل لا، ومن قائل نعم. فإن استوصف ممن يقول نعم وصف، فإذا أخبره كذبه ويقول علتي غير هذه، فيسأله عن علته، فيقول علتي فزع القلب مما أصابني من الخوف، وكان قدم ليضرب عنقه فأفزع قلبه ذلك حتى مات.. "[٢٧] وتتفق أكثر النصوص على أنه ولد في الكوفة،[٢٨] وترعرع ونشأ بواسط مدينة الحجاج،[٢٩] ولكن يحكى عن الفضل بن شاذان القول بأنه ولد بواسط.[٣٠] والأستاذ أحمد أمين يقول إنه نشأ بالكوفة.[٣١]وعلى أي حال فقد كانت إقامته في الكوفة.[٣٢] وكان يمتهن التجارة ويعيش منها، ومركز تجارته بغداد، ومنزله منها في محلة الكرخ في قصر وضاح،[٣٣] ويظهر أنه كان يتاجر بالخرز، بدليل أن شريكه عبد الله بن يزيد الأباضي في التجارة كان خرازا، وكانا معا في حانوت واحد، وهما على غاية الانسجام والاتفاق على ما بينهما من التباين في النزعة والاختلاف في الرأي. وكانا وهما في حانوت واحد يختلف إلى كل منهما أصحابه للأخذ عنه والاستفادة منه ، وقد وجدت المسعودي ينعت هشاما بالجرار أو بالحرار على اختلاف نسخ مروج الذهب، ولعله تصحيف الخراز ، وكان منقطعا إلى البرامكة، ملازما ليحيى بن خالد البرمكي وكان القيم بمجالس نظره و كلامه.[٣٤]وانتقل في أخريات أيامه إلى بغداد من

الكوفة بعد أن كان يتردد إليها بحكم تجارته، وكان تحوله إليها في سنة ١٩٩ كما حكاه غير واحد[٣٥] وقيل في عام[٣٦] 5179 ومما يدعو إلى الشك في رواية انتقاله إلى بغداد سنة5199 ما عرفت عن ابن النديم وغيره، أنه كان منقطعا وملازما ليحيى بن خالد، والقيم بمجالس نظره وكلامه، وهذا بظاهره لا يستقيم مع تلك الرواية المذكورة، لأن القيام بهذه المهمة والتزعم لتلك الحركة الكلامية والمجالس النظرية يقضي عليه بالحضور في أغلب الأحيان ويتنافى مع بقائه في الكوفة نائيا عن بغداد، يأتي إليها عرضا وأحيانا، ولا بد أن يكون تحوله إلى بغداد قبل سنة 199بحكم تجارته، ولا سيما أنه كان متخذا منزلا في بغداد في محلة الكرخ ، وقد علمنا مما سبق أن نكبة البرامكة كانت في سنة 5187 فإذن يتحتم أن يكون انتقل إلى بغداد في أثناء دولتهم وآبان سلطانهم وذلك لا يكون إلا قبل عام 187الذي نكبوا فيه. ومن هنا أمكن أن تكون رواية انتقاله إلى بغداد عام 5179أقرب الروايتين وأدناهما إلى الصواب.ومما يجدر بالذكر أن هشاما كان على اتصال وثيق بالإمام موسى بن جعفر، محل ثقته واهتمامه، حتى إن الإمام كان يوليه الأمور التي تهمه ويوكله في قضائه.[٣٧] وبلغ من عناية الإمام به وحسن حاله عنده، أنه يهتم في تقوية اقتصادياته وتوسيع تجارته، فقد رووا " أن الإمام موسى سرح إليه بخمسة عشر ألف درهم، وقال له اعمل بها وكل أرباحها ورد إلينا رأس المال، ففعل هشام ذلك "[٣٨] ، و عاش هشام فترة من حياته في مكانة رفيعة لدى بني برمك، وخصوصا عند يحيى بن خالد، فقد احتضنه وأثره وقربه منه وحاطه برعايته، فانقطع هو إليه، وولاه مجالس الكلام والنظر، وأخيرا أعجب الرشيد ومال إليه حين سمع كلامه في النبي ... ولكن ذلك لم يدم حتى تنكر له هؤلاء، واشتعلت عليه نقمة الرشيد فطلبه ففر هاربا. وتعود أسباب ذلك إلى كثرة الحاسدين له على ما أوتي من مكانة ورفعة، وعلى ما كان يتمتع به من مركز ثقافي، ومن صراحته وشدة عارضته يقول السيد الصدر: " وحسده الناس لشدة صولته وعلو درجته فرموه بالمقالات الفاسدة وهو برئ منها "[٣٩] و سبب آخر هو أنه مر آنفا أن هشاما أكثر من الطعن على الفلاسفة فوجد عليه يحيى، ونحن لا نستطيع أن نفسر نقمة يحيى على هشام حين طعن على الفلاسفة، أو نجعله سببا حقيقيا لذلك، إلا بما يحمل هذا الطعن من روح المعارضة لفكرة يحيى الشعوبية التي كان يحملها البرامكة ويعملون لها، ويعتمدون لذلك على ركيزة كبرى هي نشر آراء الفلاسفة وإكبارها والاعتماد عليها إضعافا للروح الإسلامية وحطا للفضائل العربية ، وسبب ثالث إعجاب الرشيد بهشام وميله إليه حين سمع كلامه في النبي. ومن الطبيعي أن يولد هذا في نفس يحيى روح الكراهية والنقمة عليه، إذ أصبح منافسا له في مكانته لدى الرشيد، وقربه من قلبه، قد يؤدي ذلك يوما ما إلى انهيار مركزه عنده وضعف سلطانه ومكانه منه، وقد كان يحيى يحاول دون شك – الاستحواذ والاستئثار بكل ذلك، وبالطبع وجود من يعجب الخليفة به ويميل إليه كهشام عائق كبير عن تحقيق هذه الغاية، لذلك عمل يحيى على إبعاد هشام وإغراء الرشيد به ، و سبب رابع أن آراء هشام في الإمام وفي صفاته من النزاهة والعفة والاخلاص وسواها[٤٠] تتناول بطريق غير مباشر انتقاد كل خليفة لم يتصف بتلك الصفات، وهي انتقاد صريح لتصرفات الخلفاء من بني العباس وسواهم المسرفين، ولسلبهم أرزاق الشعب واغتصابهم أموال الأمة والفقراء الكادحين ، وتصريحه أخيرا بأنه إذا دعاهُ الإمام الحمل السيف والخروج معه خرج وفعل ذلك، وهو بمسمع من الرشيد من الأسباب الرئيسية في إثارة نقمة الرشيد عليه. وتراكمت هذه العناصر حتى دفعت بالرشيد إلى الانتقام منه والقبض عليه وتقديمه للاعدام . ولكنه فر ونجا منتقل بين واسط والكوفه مختفيا حتى لقي حتفه، وهو في علة لازمته أيامه الأخيرة.

المطلب الثاني : هشام بن الحكم وعلم الفلسفه و الكلام

الذي نلحظه فيما وقفا عليه من آراء هشام، ومن النتف الهزيلة من أخباره، التي تكاد تكون رموزا وإشارات، أن الناحية الفلسفية فيها ليست بقليلة العناصر إلى جانب الناحية الدينية الكلامية الأخرى وأبحاث المتكلمين في عصره – كما قلنا سابقا – كانت قد تجاوزت الجانب الديني وتقرير العقيدة الإسلامية إلى سواها من جوانب البحث عن الموجودات وظواهرها الأخرى على تعددها واختلافها، سواء أكان لها صلة بالدين أم لا. فهم كما خاضوا في البحث في الجواهر والأعراض وسواها كذلك خاضوا في البحوث الكلامية والشرعية على السواء. وإن كان الغالب على أبحاثهم الألوان الكلامية الدينية دون سواها. وربما كان (رينان) على شئ كثير من الصواب حين قال بعد أن نفى وجود فلاسفة بين العرب أو نفي الفلسفة العربية: " أما الحركة الفلسفية الحقيقية في الإسلام فينبغي أن تلمس ، عليه سوف نبحث هذا المطلب من خلال فرعين وكالاتي:

الفرع الاول : هشام بين الفلسفة والكلام عند فرق المتكلمين وفي علم الكلام بنوع خاص[٤١] ولا شك فيه أن هؤلاء المتكلمين على اختلاف أهوائهم وميولهم في ذلك العهد قد درسوا الفلسفة، ولكنهم ظلوا محتفظين باستقلال شخصية تفكيرهم أكثر ممن جاء بعدهم من الفلاسفة. وهشام بن الحكم الذي تموج على آرائه وتفكيره عناصر فلسفية يجدها المطالع يمثل دور التطور، وبداية عهد انتقال الكلام فى عناصره الإسلامية الخالصة إلى عهد فلسفي جديد، ترف عليه الألوان الفلسفية في حلة أخرى لم تعهد من قبل ، ويفهم من حكاية إضمار يحيى بن خالد البرمكي الشر لهشام وتغيره عليه، بعد أن كان مقربا عنده في حظوة، ربما كان يغبطه عليها سواه، أن سببها طعن هشام على الفلاسفة ونقضه لآرائهم الذي أدى إلى ميل الرشيد إلى هشام وتقريبه منه، الأمر الذي حمل خالدا على أن يغير قلب الرشيد بالوشاية، ويتمحل له الأسباب التي تغريه به، مخافة أن يؤول تقريب

الرشيد لهشام إلى تقلص نفوذه عنده وزوال أمره ، ويظهر أن يحيى بن خالد كان ميالا لتأييد آراء الفلاسفة ومناصرا لمبادئهم كما هو الشأن في أكثر الشعوبية، الذين لا يريدون أن يجعلوا للإسلام منقبة أو فضيلة، وأن يبينوا فضيلة الشعوب الأخرى على العرب ، وطعن هشام على الفلاسفة الذين غاظ يحيى، لا بد أن يكون مبنيا على تفهم ميولهم وكلامهم ومقالاتهم، وعلى محاكمة آرائهم بصورة مقبولة، ليتأتى له الطعن، كما أنه لا بد أن يكون قد طالع كتب الفلسفة التي بدئ بترجمتها ونقلها في أول الدولة العباسية، وخلط مناهجها بأبحاثه التي تناولها، شأنه في هذا شأن أكثر متكلمي الإسلام ولا سيما المعتزلة سواء بسواء. ومن الطبيعي أن يستفيد كما استفاد سواه، وأن يقتبس كما اقتبس غيره. لكن الشئ البارز في متكلمي ذلك العهد أن هذا الذي اقتبسوه من الآراء الفلسفية لم يطح بعنصرهم الإسلامي ولم تذب فيه شخصية تفكيرهم ، وكانت صلة هشام بالفلسفة وموقفه منها صلة مباشرة، كما نلحظه من بعض آرائه ومؤلفاته ومحاوراته، فهو وإن لم يكن فيلسوفا بالمعنى المألوف، لكنه لم يعدم الروح الفلسفي في مقالاته ومذاهبه، أنه يرد على مذاهب الفلاسفة وأصحاب الطبائع والثنوية وسواهم، كما يتبين ذلك من أسماء مؤلفاته، ويأخذ من مذاهب الفلاسفة ما يتفق مع عقيدته ومذهبه، ونحن إذ نجد في تفكير هشام عناصر فلسفية كما سيأتي لا نكون مغالين إذا قلنا أن هشاما هو في رعيل أولئك الذين مهدوا الطريق للفلسفة الإسلامية، وفسحوا المجال أمامها لبداية عهد التطور وهي في بدء الدور الانتقالي إلى عهد فلسفي خالص بين هشام والنظام علاقة وصلة مشهورة، لم تكن مقصورة على المناظرة والجدل فحسب، بل تجاوزت إلى أبعد من ذلك. والذي تفيده النصوص أن علاقة النظام بهشام علاقة تلميذ بأستاذ يأخذ عنه ويستفيد منه، وقد حدثوا أن النظام كان " في زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنوية وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هشام بن الحكم الرافضي.[٤٢]وهنا ينبغي أن لا نتردد في أن مخالطته لهشام كانت على نحو مخالطته الملحدة الفلاسفة – على حد تعبير البغدادي – يقصد بها التلقي عنه والأخذ منه. ويظهر أن صلته بهشام قد أكسبته تجاوبا ثقافيا، وتركت في آرائه بعض أفكار هشام، لذلك نجد بين آراء كل منها شبها كاملا في كثير من المسائل والمواضيع ممل يرجح تأثير هشام على تفكير النظام، وأوضحها المسائل الآتية:

١. إنكار الجزء الذي لا يتجزأ، إنكار الجزء الذي لايتجزأ، وأن كل جزء يفرض يقبل القسمة إلى غير نهاية، يقول البغدادي " إن النظام أخذ عن هشام بن الحكم وعن ملحدة الفلاسفة القول بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، وإنه قال بانقسام كل جزء لا إلى نهاية "[٤٣]
٢. القول بأن الأعراض كالألوان والطعوم والرائحة أجسام، والبغدادي والشهرستاني والأشعري[٤٤] ينسبون ذلك إلى هشام، بل يقول الأولان إن النظام أخذ هذه المقالة عن هشام.
٣. القول بالطفرة، فإنه بالرغم من أن القول بها ينسب إلى النظام، وأنه أول من قال بها، فإنا نجد الأشعري يحكي ذلك عن هشام أيضا يقول : " إن أصحاب هشام بن الحكم يقولون أن الجسم يكون في مكان ثم يصير في المكان الثالث من غير أن يمر بالمكان الثاني "[٤٥]
٤. القول بتداخل الأجسام، وهو كما يقول الأشعري أن يكون حيز أحد الجسمين حيز الآخر،[٤٦] قال به النظام وزعم " إن حيز اللون هو حيز الطعم والرائحة، وأن الأجسام اللطيفة قد تحل في حيز واحد "[٤٧] وهذا القول بعينه يعزى إلى هشام يقول الأشعري: " الهشامية أصحاب هشام بن الحكم يقولون بالمداخلة، ويثبتون كون الجسمين في مكان واحد كالحرارة واللون "[٤٨] وحكى البغدادي عن هشام " أنه قال بمداخلة الأجسام بعضها في بعض كما أجاز النظام تداخل الجسمين اللطيفين في حيز واحد "[٤٩]
٥. إنكار القياس في غير منصوص العلة وغير قياس الأولوية، نسب ذلك إلى النظام[٥٠] ولم أعثر على نسبته لهشام صريحا، لكن بطلان ذلك من الآراء المعروفة عند فقهاء الشيعة، فأحر بهشام – وهو شيعي إمامي – أن يذهب إليه، على أن الأشعري يقول " وقالت الروافض بأجمعها بنفي اجتهاد الرأي في الأحكام وإنكاره "[٥١]
٦. إن الإمامة لا تكون إلا بالتعيين والنص الجلي الصريح، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم) نص على علي بن أبي طالب، وهذه هي الركيزة المميزة للشيعة عن سواهم ومنهم هشام بن الحكم فإنه كان يذهب إلى أن الإمامة نص من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم) وأن النبي نص على علي بن أبي طالب.[٥٢] وقد نسب الشهرستاني هذه المقالة بنفسها إلى النظام.[٥٣]
٧. كان هشام يقول: لا يجوز أن يعذب الله الأطفال بل هم في الجنة،[٥٤] وهذه المقالة تحكى عن النظام، وأنه زعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم في الجنة.[٥٥]
٨. وهشام كان يقول إن العلم والكلام (القرآن) صفة لله ليست هي هو، ولا غيره ولا بعضه، ولا يجوز أن يقال إن العلم محدث أو قديم، لأنه صفة والصفة لا توصف[٥٦] وبالطبع إن رأيه هذا ليس مختصا بالعلم والكلام بل هو عنده عام لأكثر الصفات، كالإرادة والحياة وسواهما، وقد حكي عن

النظام أنه كان يقول أن قدرة الله تعالى والحياة والبصر والسمع والإرادة لا ينبغي أن يقال أنها أشياء أو أجسام أو أعراض، ولا يقال أنها جزء، ولا يقال أنها بعض، ولا يجوز وصف صفة بصفة أخرى .[٥٧]

الفرع الثاني : العصر الثقافي لهشام بن الحكم

جاء الإسلام موجة فكرية تمتد وتفيض على الشعوب العربية بقوة وسلطان حتى امتلكت عليهم تفكيرهم واتجاههم، واندفعت هذه الموجة المحمومة في أرجاء الجزيرة العربية تطارد الخرافات والعادات وتصارع التقاليد، وتبعث الروح العربية إلى أفق أفسح ومجتمع أفضل، عماده الحقائق والمبادئ المثلى، الرامية إلى خير الإنسان في جميع نواحيه، وتقيم له حضارة جديدة تشيع فيها حيوية الروح والتفكير، وحيوية العمل والتوجيه في طاقة خصبة شاملة لجميع جوانب الروح والتفكير، ووهاجة بالنور الإلهي الذي أشرق على الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، وانفجر بالاسلام صبح حياة جديد، هيمن على القلوب والعقول، وجذبها إليه مظلمة فأنارها، وظمئانة فأرواها، ومجدبة فأعشبها. وأقبلت عليه تستلهمه أخصب دروسها بالخير العربية، ون وراثات الأمم الأجنبية. ونضجت في نهاية العهد الأموي العقلية، وتبلورت فيه الحياة العامة تبلورا بينا، وبدت في الأفق الاسلامي تتكون ألوان جديدة من التفكير والحضارة ، انقلابا عاما كاملا وجاء الدور العباسي، وانطلقت قافلة ذلك المجتمع بقوة واندفاع لا نظير له في حقب التاريخ. وأحدث ث هذا هذا الاندفاع وامتزاجا عجيبا. فكان المجتمع العباسي جديد الوجه والروح كما كان جديد الحضارة والتفكير، وكما كان عربي اللسان مسلم العقيدة، كان من جهة ثانية فارسي اللون والطابع عالمي التفكير والثقافة.

وينحسر ذلك الانقلاب عن مزاج عجيب من عناصر شتي مختلفة، التقت في العقيدة الواحدة، واقترنت بألوان عديدة من التفكير والتاريخ، وألوان كثيرة من الحضارات والوراثات. وقد انحشرت في هذا المجتمع الشعوب العربية، ودخلت فيه العناصر الآرية والسامية الأخرى، وكان لكل منها لون خاص من التفكير والحضارة والتاريخ.ولا بدع بعد هذا أن يتفجر في هذا المجتمع أعجب مزاج فكري في تاريخ الفكر والانسان، وأن يكون المجتمع العباسي هو الشاطئ الفريد من بين المجتمعات التاريخية، انتهت إليه هذه الموجة الضخمة الثقافية والفكرية، وتلاطمت على ضفافه في عتو وطغيان. وقد اندلعت منها ثورة عقلية محمومة بالنزعات المختلفة والآراء المتباينة، لا سيما بعد أن مهدت الطريق لهذه الثورة بنقل ثقافات الأمم الأعجمية وفلسفتهم من الفرس والإغريق والهنود وسواهم.

وقد حفل المجتمع الاسلامي آنذاك بهذه الثقافة وأكبرها، و عكف عليه وتفهمها إلى حد بعيد. وبرز أثر ذلك على أكثر جوانب الحياة الإسلامية، فظهر على الأدب العربي الاسلامي، وألقى عليه ظلالا كثيرة، تتجلى في لون التعبير والأسلوب والتفكير وفي المادة التي يعتمدها يعرفها المتتبع. كما برزت على أصول التشريع والفقه الاسلامي، وتأثر به رجال الكلام والعقائد، واعتمدوا عليه في أدلتهم وآرائهم، كما طغى على تفكير الفلاسفة المسلمين طغيانا جارفا، وبرزت في هذا المحيط ضروب عديدة من النزعات والاتجاهات والمذاهب، تتصارع في حركة فكرية دائمة لا تعرف الهدوء والاستقرار، فنشأت هناك نزعات الالحاد والزندقة والمادية، كما نشأت معها نزعات الشعوبية والعنصرية من تلك الأمم الأعجمية التي جذبها الإسلام.. ونشأت على نقيضها نزعات معاكسة كنزعات الصوفية، والقومية العربية، وكان بضرورة الوضع أن تنشأ مذاهب وطرائق شتى في العقائد والآراء، وغصت هذه الحقبة بالمذاهب العقلية والنحل الدينية والآراء هذه النزعات والمذاهب إلى أمواج هذ الكلامية، وتحولت بطبيعة أمواج . ساحة ثورة عنيفة، انطلقت في أكثر العصور التي بعدها أكثرا وكان المتكلمون أو فلاسفة الدين) من أبرز المتصارعين في هذه الساحة، وأبعدهم أثرا في الحركة الكلامية في الإسلام وأقربهم صلة مباشرة بما يمس الدين أو مشاكل العقائد الإسلامية، وكانوا يمثلون روح الإسلام وتفكيره تمثيلا واضحا. وقد تناولوا أهم مشاكل الدين من إثبات الخالق وحدوث العالم، والروح والادراك، وصفات الخالق الثبوتية والسلبية، ومسألة خلق القرآن، وأفعال العباد، والقضاء والقدر والإمامة، والعصمة، وحكم مرتكب الكبيرة، والاستطاعة وبقاء الجنة والنار وسوى ذلك من المشاكل الدينية. وعالجوا إلى جانب هذه مواضيع فلسفية لا صلة لها بالدين، أو أن علاقتها به ليست بذات بال كموضوع الكمون والظهوروالحركة والسكون والأجسام والأعراض وما يتبعها من التداخل والطفرة وحقيقة الإنسان، وما إلى ذلك من مواضيع فلسفية كثيرة، وتعد تلك الحقبة من أغزر حقب التاريخ بالفرق والمذاهب فقد قامت فيها المعارك الدينية والنظرية في جدال وحجاج لا ينتهيان، وبرزت فيها الفرق الكثيرة التي تفرعت من الشيعة والمعتزلة والصفاتية والخوارج، وظهرت من جراء ذلك، المؤلفات الكلامية الكثيرة تقريرا أو حجاجا أو دفاعا، التي تكاد تملأ الطوامير ، وكانت هذه المذاهب المذكورة هي النواة الأولى التي انفلقت عنها الفرق الكثيرة في الإسلام في تسلسل مطرد إلى يومنا هذا. وكان بين كل منها اختلاف غير يسير في أشياء كثيرة من موضوعات الدين، يجدها الباحث مشروحة في كتب العقائد ومؤلفات الفرق الإسلامية.

وقد انتشرت هذه الفرق في عصر المهدي العباسي كثيرا، وقد حدث هشام بن الحكم:

" إنه لما كان أيام المهدي (أي في سنة ١٥٨ – ١٦٩ ٥) شدد على أصحاب الأهواء، وكتب له ابن الفضل صنوف الفرق صنفا صنفا، ثم قرئ

الكتاب على الناس على باب الذهب بمدينة بغداد، ومرة أخرى على باب وضاح " (محلة في بغداد)[٥٨]. ويظهر من ذلك أن المهدي إنما شدد بذلك تحذيرا للناس من اتباعها وتوعد عليها بالعقاب، كما يفهم من حديث هشام ليونس (أحد رجالات الشيعة). " إن أبا الحسن (الإمام الكاظم)[٥٩] بعث إليه، فقال له: كف هذه الأيام عن الكلام. فإن الأمر شديد، قال هشام: فكففت عن الكلام حتى مات المهدي، وسكن الأمر الذي من أجله ينهائي[٦٠]

١. وكان بين تلك الفرق تجاوب فكري وثقافي، ظهر على آراء كل منها، ويغل على ذلك وجود الشبه بينها في كثير من الآراء، لا سيما بين المعتزلة والشيعة، فإن تأثير كل منهما في الآخر يبدو جليا، كما نلحظ هذا التشابه بينهما في هذه المسائل، نفى رؤية الخالق بالأبصار حدوث القرآن. نفي الجبر عن أفعال العباد. قاعدة اللطف قاعدة الأصلح. نفي قدم الصفات وأنها عين الذات. مسألة الحسن والقبح العقليين. العدل. وسوى ذلك. ومن الطبيعي أن يحدث ذلك التجاوب بينهما في كثير من النظريات ، بعد أن كان كل منهما ينهج منهجا عقليا مجردا ويسيران معا في طريق فكري واحد، وبالرغم من أن الحركة الاعتزالية التي طغت في تلك الآونة على أكثر ما هنالك من نزعات، لم يقف في وجهها موقف محاسب دقيق إلا الشيعة، الذين كانوا معهم في نضال عنيف. ونعرف ذلك من الحوار المستمر والمناظرات الكثيرة بين زعماء الفريقين، التي تعد من أطرف المناظرات في تاريخ النظر والجدل إنه بالرغم من ذلك كله فقد نهج كل منهما المنهج العقلي وكانا معا في حلبة واحدة يستلهمان العقل ويعرفان حرمته وكانتا أكثر الفرق الإسلامية انطلاقا في الميادين الفكرية، وكما أطلق بعض المستشرقين على المعتزلة ونعتهم بالمفكرين الأحرار (أو أصحاب المذهب العقلي، كذلك نعت البارون كرادفو) الشيعة بأنهم أصحاب الفكر الحر)[٦١] ويقول آدم متز " إن الشيعة ورثة المعتزلة ".[٦٢] وكان لدى الشيعة زيادة على ذلك، المدد الغزير وهو تعاليم أهل البيت الذي يضاعف قوتهم ، ويظهر أن الأئمة من أهل البيت ولا سيما الإمام الصادق[٦٣] قد شجعوا في أصحابهم الحركة الكلامية ونشطوا النظر وحثوا عليه، كما يومي إلى ذلك أمر الإمام الصادق أصحابه بالمناظرة مع هشام والاستماع إليه، وقصة الشامي المتكلم الآتية شاهد صريح على ذلك.

ونجد أيضا أن مجالس المناظرة كانت تعقد بين متكلمي الشيعة أنفسهم، كما نلحظ ذلك جليا في المناظرة بين هشام بن الحكم وبين زرارة بن أعين والمناظرة بين هشام بن الحكم و بين هشام ابن سالم الجواليقي وغيرهما، والفارق بين المعتزلة والشيعة أن السلطة كانت تؤيد في ذلك العهد المعتزلة وتساندهم، وأما الشيعة فكانت السلطة ضدهم وتطاردهم وتحبس أنفاسهم، كما هو معروف في التاريخ، لذلك برزت تلك واختفت هذه في أكثر الأدوار، و فارق آخر أن الإمامية كانوا يحاولون التوفيق بين العقل والنقل فيما إذا كان النقل يساند العقل ولا يعارضه، كما يبدو ذلك من أدلتهم في مسألة نفي الرؤية والجبر وخلق القرآن وسواها بل أصبح عندهم من الأصول الثابتة لزوم تأويل كل ظاهر للكتاب أو للسنة مخالف لحكم عقلي قطعي إن أمكن، وإلا وجب طرحه. وهذا بخلاف المعتزلة الذي أعرضوا عن مثل هذه المحاولة ، ويريد بعضهم أن يرد أصول التفكير الشيعي إلى المعتزلة وأن يجعله امتدادا لها، ويعتمد لهذه الدعوى على ما يوجد في كتب الشيعة الكلامية من مباحث العدل والتوحيد، وعلى قولهم بأن الحجة في قول المعصوم، وبضرورة وجود أمام معصوم، وإن هذا كله مما قال به المعتزلة، وخصوصا النظام منهم.[٦٤] وقد غالى عبد الرحمن الشرقاوي في ذلك، حين قال: إن الشيعة التقطوا كثيرا من أفكار المعتزلة، بل انضم إليهم بعض رجال الفكر من الشيعة. فزيد إمام الزيدية إحدى الفرق الشيعية اختلف إلى واصل بن عطاء وتلقى العلم على يديه ".[٦٥] يعتمدون على ذلك، ويتذرعون به لربط الفكرة الشيعية بالفكرة الاعتزالية، وأنها مولودة عنها ، وقد لا تسرف إذا قلنا أن هذا الرأي لم يعتمد حجة ثابتة ولا أرقاما صحيحة. ذلك لأن الشيعة تمتاز بالقول بالإمام المعصوم منذ أقدم عصور التشيع، بل هو الطابع الوحيد الذي يفصلهم عن سواهم من الفرق الإسلامية بل المعروف الذي لا يختلف فيه اثنان أن حجية الإجماع عندهم إنما هي بدخول المعصوم في المجمعين، أو اشتماله على رأيه وقوله، وقد نسب القول بأن الحجة في قول الإمام المعصوم إلى النظام، والثابت تاريخيا أن النظام هو تلميذ هشام بن الحكم الشيعي، وقد أخذ هذه الفكرة عنه.وأما العدل والتوحيد فليس معنى قول المعتزلة بهما أن الشيعة أخذت ذلك عنهم. بل الممكن أن يكون العدل والتوحيد – وهما فكرتان قرآنيان – قد برز القول فيها منذ نشوء الإسلام ودراسة أحاديث أهل البيت الذين سبقوا المعتزلة في التاريخ تثبت أن أئمة الشيعة نبهوا عليها وأشاروا إليها في تقرير وتوضح .[٦٦]بل يرد ذلك أيضا وجود متكلمين شيعيين قبل أن يخلق واصل بن عطاء مؤسس المدرسة الاعتزالية. منهم قيس الماصر، فقد كان من حذاق متكلمي الشيعة، وهو تلميذ الإمام علي بن الحسين زين العابدين الذي توفي سنة ٩٤ ٥ ومن الثابت تاريخيا أن واصلا شيخ المعتزلة ممن لقى أبا هاشم عبد الله بن محمد الحنيفة وصحبه وأخذ عنه.[٦٧] بل أن الشيعة الزيدية يرجعون في مذهب الاعتزال إلى علي بن أبي طالب بواسطة محمد بن الحنيفة .[٦٨]ويعنون بذلك أن واصلا أخذ عن أبي هاشم، وأبو هاشم أخذ عن أبيه محمد بن الحنيفة، ومحمد أخذ عن أبيه علي بن أبي طالب. وإذن فمذهب الاعتزال له صلة وثيقة بتعاليم إمام الشيعة وهو منبثق عنه.ومن المميزات الواضحة أن الشيعة حملت في أكثر عصورها راية المعارضة للطبقات الحاكمة، وكانت تصم معاوية والأمويين

بالكفر، وفي المبادئ التي اعتنقتها حافز كبير للثورة ضد أولئك الحكام من طريق مباشر وغير مباشر تلك المبادئ كانت بمثابة الشرارة التي يمكن أن تلهب منها الثورة في كل حين.

فنظريتهم بعصمة الإمام بالإضافة إلى أنها داخلة في صلب عقيدتهم، كانت تحمل في معناها الثورة على كل حاكم غير معصوم، وتقرر عدم شرعية حكمه وأوامره، وتنتهي إلى عدم الاعتراف بسلطانه.

ونظريتهم بالاختيار، وأن الإنسان هو الذي يصنع مصيره. وأعماله، تجعل الحاكمين مسؤولين عن أعمالهم وتصرفاتهم ككل إنسان آخر، وهذه النظرية رد على من قال بأن الإنسان ليس هو الذي يصنع أعماله وإنما الموجد لها هو الله، هذا القول الذي يؤدي حتما إلى أن الفاجر الظالم ليس مسؤولا عن تصرفاته العدوانية لأنها لم تصدر بإرادته وفعله وليس له فيها اختيار فلا يكون مسؤولا عنها. و نظريتهم بالعدل الرامية إلى استحالة صدور أي ظلم من الخالق تمنع من مساواة المجرم بغير المجرم عند الله وإلا لما كان عادلا، وهي في روحها رد على المرجئة الذين ساووا بين إيمان أعظم الفجرة المجرمين وإيمان أكرم البررة الصالحين. وربع الأمويون والطبقة الحاكمة لهذه النظريات، وضاقوا بها درعا، وأدركوا ما يكمن فيها من خطر على سلطانهم ومن تهديد لدولتهم، وما يكمن في طبيعتها من روح الثورة عليهم. وقلق الأمويون حين وصم الشيعة معاوية والأمويين جميعا بالكفر. فذهبوا يتلمسون المبررات لعسفهم، ويلهثون لاستنباط ما يؤكد إيمانهم وحسن إسلامهم، ويبرر كذلك عدوانهم على حياة الناس وأرزاقهم، وكان الشيعة من بين أولئك الناس الذين انصب عليهم شواظ غضب الأمويين، فقد كانت بيوتهم خربة، والذين بقوا منهم في الحياة كانوا يعيشون على الكفاف، تتلقفهم يد الدولة ويطاردهم الرعب في كل دروب الأرض، ولكنهم كانوا يملكون مع ذلك فكرا وأدبا، جعل همه كله أنيهاجم الأمويين والحاكمين، وذهبوا إلى آخر المدى في معارضة فكرة الطبقة الحاكمة، كما ذهب بنوا أمية إلى آخر المدى في تزييف فهم القرآن والحديث. وأمعنت الطبقة الحاكمة في تسخير القرآن والحديث الموضوع وغير الموضوع والأدب والسياسة وكل شئ لتحد من معارضة الشيعة. وأخيرا بعد أن لهث الأمويون طويلا في البحث عما يبرر عدوانهم ويثبت إسلامهم وإيمانهم عثروا في الطريق على طائفة من الناس وجدت عندهم ضالتهم، وما يحقق رغبتهم. تلك الطائفة هي المرجئة الذين قاموا يدعون المسلمين إلى إرجاء الحكم على الحزبين إلى يوم القيامة، فليس لإنسان أن يقضي على إنسان بالخطأ أو بالصواب، وإنما الأمر لله جميعا وهو وحده يوم القيامة يضع الموازين والحساب، وفرح الأمويون بهؤلاء المرجئة، وعملوا على إذاعة نظريتهم، بل إنهم التقطوا زعيمهم وعينوه واليا.[٦٩] وتتلخص نظريتهم بأنه لا تضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة، وأن الإيمان هو النطق بالشهادتين فحسب، وأنه لا يضر مع الإيمان فعل أي شئ من المعاصي الكبيرة ولو كان قتل نبي أو زنا في الحرم في الكعبة، وأن إيمان من فعل ذلك وإيمان الملائكة المقربين والنبيين على السواء، وأنه يرجئ أمر مرتكب الكبيرة إلى الله تعالى يوم القيامة. وكان في نزعتهم هذه ممالئة كبيرة لبني أمية، إذ بنوا فلسفتهم السياسية على أسلوب خادع يبرر خلافة بني أمية ويبرر بقاء بيعة الجائرين منهم في أعناق المسلمين، ويؤكد في أثناء ذلك إسلامهم وحسن إيمانهم. وبرز رأي المرجئة في قول شاعرهم ثابت بن قطنة.

المسلمون على الإسلام كلهم * والمشركون استووا في دينهم قددا ولا ترى أن ذنبا بالغ أحدا * م الناس شركا إذا ما وحدا الصمدا وانبرت فئة أخرى تساندهم وتبرر عدوانهم، تلك الفئة التي ذهبت تقول بأن العبد مجبور على أعماله، وأن الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وأن الإنسان لا يملك اختيارا ولا إرادة ومثال هذا الرأي بدون شك إلى أنه لا تبعة على الإنسان مهما فعل لأنه لا يملك الفعل.[٧٠] وقد صعقت الطبقة الحاكمة لذلك فرحا، ولثموا الأرض شكرا على أن وجدوا من يؤكد إيمانهم وحسن إسلامهم من جهة، ويبرر عدوانهم من جهة ثانية ولا يحملهم شيئا من تبعات أعمالهم، وجاءت في أعقاب هؤلاء فرقة ثالثة وهم المعتزلة، كانت في ممالئتها للطبقة الحاكمة أقل صراحة وأكثر مدارة. فهم وافقوا الشيعة في أن الإنسان يصدر أعماله بإرادته واختياره،وأنه كائن مريد يملك فعله وإرادته، وأنه ليس جمادا تحركه يد خارجة عنه.فهم وافقوا الشيعة بهذه النظرية التي تحمل انتقادا غير مباشر لما كان عليه خلفاء أمية من تسفل وجور وتجعلهم مسؤولين عن أعمالهم.

ومن جهة ثانية وضع زعيمهم واصل بن عطاء وتبعه عمروبن عبيد نظرية المنزلة بين المنزلتين، وذهبا إلى أن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا كافرا، وهم بهذا أيدوا السلطة الحاكمة وبرروا عدوانها بطريق غير مباشر، وغمرت الطبقة الحاكمة أطياف من الابتهاج حين وجدت طبقة من العلماء يسكتون على عدوانها على الأقل، ولا يحكمون عليها فعلا بإيمان أو بكفر، فالشيعة كما رأيت أول من حمل الثورة الفكرية في الإسلام ضد الطغيان، وفي نظرياتها تكمن روح الثورة، وأن عقيدة الإمامة التي آمن بها الشيعة حملتهم على انتقاد الطبقة الحاكمة ومعارضتها في جميع مراحل تاريخهم، وجعلتهم يرون كل حكومة غاصبة ظالمة مهما كان نوعها إلا إذا تولى أمرها إمام معصوم، لذلك كانوا في ثورة مستمرة، لا يهدأون ولا يفترون، فهم يقيسون كل حاكم على ما عندهم من مقاييس الإمام المعصوم فيرونه ناقصا غاصبا، وعلى هذا استمروا ثائرين في السر والعلن على توالي الأجيال.[٧١]والحقيقة أن الأمويين استطاعوا أن يألبوا أكثر الفرق الإسلامية ضد خصومهم الشيعة، وخلقوا لهم خصما عنيف الخصومة وهم المعتزلة،

الذين كانوا في نضال مستمر مع الشيعة، وكانوا يستخدمون تفكيرهم لمناهضة الشيعة، ولكنهم تساقطوا في الطريق حين طال السفر، واضمحلوا كأصحاب مذهب عاشوا سنين كثيرة، وما بقى إلا قسم من آرائهم الكلامية التي احتضنتها كتب الكلام نابضا بالحياة رغم تأييد جماعة من ملوك العباسيين ومن قبلهم الأمويون الذين أذاعوا نظرياتهم، وتبنوا آراءهم كالمأمون والمعتصم وسواهما. ورغم أن الشيعة في أكثر أدوارهم كانوا مطاردين من الطبقة الحاكمة تضيق عليهم الأرض يرحبها، وكل دروب الحياة، ومع ذلك فقد رافقوا التاريخ في حياتهم ومبادئهم. ولمعت في كل من تلك الفرق الإسلامية أسماء كبيرة وضخمة، كانت محورها ما هناك من آراء ونظريات، و عليها عا تدور رحى المناظرة والحوار، وكان لكل منها مدرسة فكرية ذات آراء كلامية خاصة عرفت بها ونسبت إليها.فمن أشهر زعماء المعتزلة

١. أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال (٨٠ – ٥١٣١) من أشياخ المعتزلة وأعلامها، بل هو المؤسس لمذهب الاعتزال والواضع لأصوله، وواصل هو أول من وضع المنزلة بين المنزلتين، وخالف بذلك أستاذه الحسن البصري في مصير مرتكب الكبائر.فقد كان الناس في أسماء أهل الكبائر على أقوال،كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك، والمرجئة تسميهم بالإيمان، وكان الحسن البصري وأصحابه يسمونهم بالنفاق، فأظهر وأصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين.[٧٢]

وهو من كبار القائلين بمسؤولية الإنسان أمام أعماله خيرا كانت أم شرا كما كان من المتشددين بنفي وجود صفات مغايرة للصانع.[٧٣]

٢. أبو عثمان عمرو بن عبيد (٨٠ – ١٢٤ ٥) وافق واصلا في القول بالمنزلة بين المنزلتين، واعتزل أستاذه الحسن البصري، ووافق واصلا في القول بتفسيق أحد الفريقين لا بعينه علي ومعاوية، وأنه لا يقبل شهادتها كما قال بعدم قبول شهادة على وطلحة والزبير.[٧٤]وكان صديقا للمنصور العباسي، وأحد دعاة الاعتزال وكبرائهم.

٣. أبو الهذيل العلاف (١٣٤ – ٢٣٥ ٥) من عظماء المعتزلة ودعاتهم، وهو أستاذ النظام في الكلام. وقد انفرد بآرائه، منها أن حركات أهل الخلدين تنقطع، وأنهم يصيرون إلى سكون دائم، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل الجحيم، وتبعه على هذا الرأي تلميذه النظام.ومنها أن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته، وقادر بقدرة وقدرته ذاته وهكذا ... والفرق بينه وبين من يقول إنه عالم لذاته وقادر لذاته، أن قول أبي الهذيل إثبات ذات هي بعينها صفة، أو إثبات صفة هي بعينها ذات.[٧٥]أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام (٦٠ – ٥٢٢١) من أئمة المعتزلة وقادتهم، وأستاذ الحاحظ في الكلام والاعتزال، ومن أئمة البلاغة والبيان كان حديد الذهن سريع الخاطر، تلمذ على أبي الهذيل العلاف، وبرع وظهر على أستاذه في مناظرات كثيرة. كما أخذ عن هشام بن الحكم وتأثر به إلى حد بعيد.وقد وصفه تلميذه الجاحظ في كتاب الفتيا فقال: " وكان إبراهيم من حفاظ الحديث مع ذهن حديد ولسان ذرب يتلخص به إلى الغامض، ويحل به المعقد، ويقرب به ما بعد وهو مع ذلك يخطئ خطأ الغمر، ويخبط خبط السكران ويجمع بين التيقظ والغفلة والحزم والإضاعة ".[٧٦]وانفرد بالقول بأن الله تعالى لا يقدر على الشر، خلافا لأصحابه المعتزلة فإنهم يقولون بأنه قادر عليه لكنه لا يفعله لأنه قبيح.[٧٧] ثقافه:والذي عرفناه من النصوص أنه مر في مراحل ثلاث:(الأولى) أنه كان في بدء أمره أمره . من أصحاب أي شاكر الديصاني[٧٨] الزنديق المعروف، صاحب النزعة الإلحادية التي تفشت في ذلك الدور. فقد روى البرقي " أن هشاما كان من غلمان أبي شاكر الديصاني وهو جسمي "[٧٩] وقد رووا عن الإمام الرضا[٨٠] عند وصفه أحد الرواة، وهو هشام بن إبراهيم العباسي) قال : " هو من غلمان أبي الحرث يعني يونس بن عبد الرحمن، وأبو الحرث من غلمان هشام بن الحكم، وهشام من غلمان أبي شاكر وأبو شاكر زنديق ". ويراد من كلمة (غلمان) الأصحاب المختصين، ويقول ابن الخياط في بعض كلامه:"... بل المقروف بقوله الديصانية شيخ الرافضة وعالمها هشام بن الحكم المعروف بصحبة أبي شاكر الديصاني، الذي قصد إلى الإسلام فطعن فيه من أركانه، فقصد إلى التوحيد بالافساد ".[٨١]وجاء أيضا " أن هشاما من أصحاب أبي شاكر الديصاني وهو زنديق ".[٨٢]ويصفه ابن تيمية فيقول: هشام بن الحكم مولى كندة، نشأ في أحضان أبي شاكر الديصاني الزنديق، وكان من غلمانه، ومن بيئة أبي شاكر رضع أفاويق الالحاد والزندقة والتجسيم ".[٨٣]وبعد هذا فإن جميع النصوص متفقة على أن هشاما كان على صلة تامة بهذا الديصاني، وعلاقته وثيقة به، ولا نعرف على وجه التحقيق شيئا عن مبلغ تأثره بأبي شاكر، ولا عن مدى تجاوبه مع آرائه، ولا عن مقدار ما أخذ من تفكيره. لكن وجدنا لدى هشام اتجاها ماديا قويا، فقد نسب إليه القول بجسمية أكثر الأعراض كالألوان والطعوم والروائح، ونسب إليه القول بقسمة الجزء أبدا، والقول بأن الله تعالى جسم وغيرذلك. وهذه الآراء تنسب إلى الرواقيين من فلاسفة اليونان، فقد غالوا بتجسيم كل شئ حتى الأشكال الهندسية، وقالوا بانقسام الجزء إلى ما لا نهاية بالفعل على خلاف قول أرسطو الذي قال بالانقسام بالقوة. ومن الممكن أن يكون لهؤلاء الرواقيين أثر في تفكير هشام جاءه عن طريق الديصانية الذي كانوا منتشرين في العراق ومن دعاتها وزعمائها أبو شاكر الديصاني أستاذ هشام. ومن العادة أن نلمح آراء الأستاذ في آراء تلميذه. يقول الأستاذ (بريتزل): " إن أثر الرواقيين لم يكن له تأثير مباشر في نشوء الفلسفة عند العرب، بل إنه جاءهم عن طريق مذهب الديصانية والغنطوسية والمذاهب الثنوية على اختلافها وبما كان فيها من جمع

وتوفيق بين مذهب اليونان، والرواقيون من بينهم، خصوصا وأنه وجد ما يدل على أثر للرواقيين مع غيرهم حول مدينة الرها " .[٨٤]ويلاحظ هـ هـ شيدر في مقال له عن ابن ديصان الرهاوي في مأثور الكنيسة اليونانية والسريانية)، أن بعض نواحي مذهب ابن ديصان تجعلنا نضعه بين الرواقيين.[٨٥]وعليه فمن القريب أن تكون هذه الآراء لهشام هي من الأثر الرواقي جاءه من طريق أبي شاكر الديصائي، بل من الجائز أن تكون نزعته الحسبة المادية هي أصداء للنزعة الرواقية انعكست في تفكيره بواسطة الديصانية.(الثانية) ثم اعتنق مذهب الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية المتطرفة[٨٦] يقول ابن النديم في ترجمة هشام: " كان أولا من أصحاب الجهم بن صفوان ".[٨٧] ويقول عمر بن يزيد السابري أحد شيوخ الإمامية): " وكان ابن أخي هشام يذهب في الدين مذهب الجهمية خبيثا فيهم.[٨٨] فهشام إذن من دعاة الجهمية، ناظر على طريقتها، متحمسا لها كما ينبئ عنه تعبير عمر بن يزيد (خبيثا فيهم)، ونحن لا نعرف مبلغ تأثير الجهمية في تفكير هشام. نعم وجدنا بين بعض آرائه وبين بعض الآراء الجهمية شبها كاملا، ومن البعيد أن يكون ذلك عفوا واتفاقا، وخصوصا بعد أن علمنا أنه كان من أنصار المذهب الجهمي، فلا بد والحالة هذه أن تكون صلته بالجهم أو بطريقته قد تركت في تفكيره بعض الآراء الجهمية. وهناك آراء له لا تختلف عن آراء الجهم بشئ مثال ذلك أنه نسب إليه القول " بأن الله لا يجوز أن يعلم الشئ قبل خلقه، وأن الأشياء لا تعلم قبل كونها، وأنه محال أن يكون الله لم يزل عالما بالأشياء بنفسه، وأنه إنما يعلم الأشياء بعد أن لم يكن عالما "[٨٩] على اختلاف التعابير التي نسبت إليه. وهذا الرأي نفسه للجهم بن صفوان، فقد استدل على ذلك: " بأنه لو علم ثم خلق، أفيبقى علمه على ما كان أو لم يبق، فإن بقي فهو جهل، فإن العلم سيوجد غير العلم بأنه قد وجد، وإن لم يبق فهو جهل، فإن العلم بأنه سيوجد غير العلم بأنه قد وجد، وإن لم يبق فقد تغير، والتغير مخلوق ليس تقديم ".[٩٠]

الخاتمة:

بعد إن انتهينا من بحث ودراسة العقل في القرآن الكريم وتطبيق السمنتيكيه والابستمولوجية على حديث هشام بن الحكم، فإنه لابد لنا ان نسجل بعض النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة وكذلك إلى التوصيات التي نرى من الضروري تقديمها للمشرع وللمهتيمن بالبحث العملي ومن له علاقة للأخذ بها لعلها تسهم في مساعدهم في مهام عملهم وكما يأتي:

أولا: الاستنتاجات:

١- اظهر البحث أن كلمة العقل وحدة معجمية رئيسية، تشعبت عنها أربعة حقول دلالية أساسية وهي أولا أسماء العقل ثانيا كوامن العقل ثالثا صفات العقل رابعا امراض العقل..

٢- ان كلمة دلالة خاصة تكتسبها من خلال تموضعها في سياق النص، تؤهلها للدخول في حقل دلالي يستوعب هذه الدلالة، ككلمة (البصر) التي جاءت في سياقات متعددة لتدل على كلمة (العقل)، في حين انها يمكن ان تدل في سياق اخر على (حاسة الابصار)، مما يؤكد إمكانية دخول الوحدة المعجمية عن طريق الانتقال الدلالي في أكثر من حقل دلالي وفقا للسياقات اذ كانت من المشترك البوليزيمي، اما إذا كانت من المشترك الهومونيمي فسوف تعالج كل كلمة في حقل دلالي مستقل.

٣- تعد التئام الكلمات في حقول دلالية ذات علاقات مترابطة يبرهن على الوحدة العضوية بين مفردات اللغة.

ثانيا: النتائج

١- ظهر في حقل امراض العقل عدد من العلاقات الدلالية، كالترادف بين كلمات (السهو، الغفلة، النسيان) التي تدل على (فقد مؤقت للمعلومة)، والختم، والطبع) اللتان تدلان على (وسم العقل بالضلال)، و (التكنية، والرين، والعمى والعمة) التي تدل على (حجب وتغطية للعقل)، وعلاقة شبه الترادف بين (الذهول والزيغ) اللتان تدلان على (انشغال العقل بسبب ذعر وفزع)، وكلمات (الجنون، والسحر، والسفاهة والتسكير) التي تدل على (اختلال العقل).

٢- ظهرت علاقة الاشتمال في حقل (كوامن العقل) بين كلمات (التصور، والتبصر، والتفكر، والتدبر).

الهوامش

القران الكريم

١- العقلانية الإسلامية ، للدكتور محمد عمارة ، مجلة العربي، العدد ٣٤١، ابريل ١٩٨٧.

٢- فهرست ابن النديم.

[٣]- مثل الأحول والجواليقي وآل زرارة وسواهم من الشيعة ومثل واصل وعمرو بن عبيد وأبي الهذيل والنظام من المعتزلة.

٤- كالطوسي في الفهرست والمفيد في الارشاد

٥- منتهى المعروف برجال أبي على.

٦- ملحقات فهرست ابن النديم ص ٧ وكانت نكبة البرامكة في صفر سنة ١٨٧ وفيها قتل جعفر البرمكي، وكانت خلافة المأمون عام ١٩٨.

٧. تعليقات الأستاذ " نبيرج " ناشر كتاب الانتصار للخياط، أما كتاب الذهبي فهو تاريخ الإسلام ويوجد مخطوطا في بعض مكاتب أوربا ولكن بعض نسخه غير كاملة على ما قيل أنظر إبراهيم بن سيار للأستاذ أبو زيد

٨. الإمام المعني هنا هو موسى بن جعفر حين حبسه الرشيد سنين طويلة

٩. عن ذكر المعتزلة لابن المرتضى ص ٢٩ وحياة الحيوان للجاحظ ج ٥.

١٠. كتاب البدء والتاريخ للمطهر المقدسي ص ١٢٣ – ١٢٤. راجع فصل المناظرات في أواخر هذا الكتاب.

١١. هو الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم أحد أئمة الشيعة ولد سنة ١٢٨ هـ وتوفي ١٨٣ هـ فرق الشيعة ص – ٨٤–٨٥

١٢. جعفر بن محمد الصادق أحد أئمة الشيعة وإليه ينسب المذهب الجعفري لأن طائفة هامة من الفقه والأحاديث قد أخذت عنه ولد سنة ٥٨٣ وتوفي سنة ٥١٤٨

١٣. أنظر الحضارة الإسلامية ج ١ ص ١٢٨ طبعة ثانية.

١٤. مجلة الغد عدد ٢ – ٣ يونيه – يوليه ١٩٥٣ ص ١٦ – ٢٠ بعنوان: " أول ثورة في الفكر العربي ".

١٥. أمالي المرتضى ج ١ ص ١٦٥ طبعة دار الكتب العربية وانظر الملل والنحل ص ٢٦.

١٦- أمالي المرتضى ج ١ ص ١٦٥ وانظر ص ١٦٦ من الجزء المذكور وراجع الملل والنحل ج ١ ص ٢٥

١٧. منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي.

هوامش البحث

[١] ينظر العقلانية الإسلامية ، للدكتور محمد عمارة ، مجلة العربي، العدد ٣٤١، ابريل ١٩٨٧م ، ص٢٤ .

[٢] فهرست ابن النديم ص ٢٤٩ وملحقاته ص ٧.

[٣] مثل الأحول والجواليقي وآل زرارة وسواهم من الشيعة ومثل واصل وعمرو بن عبيد وأبي الهذيل والنظام من المعتزلة.

[٤] المصدر السابق.

[٥] كالطوسي في الفهرست والمفيد في الارشاد.

[٦] منتهى المعروف برجال أبي على ص ٣٢٢ – ٣٢٣

[٧] تأسيس الشيعة ص ٣٦٠.

[٨] أحد رواة الإمامية الثقاة.

[٩] تنقيح المقال ٣ ص ٢٩٥

[١٠] منتهى المقال ٢٧١.

[١١] المصدر نفسه ص ١١٨

[١٢] أنظر مروج الذهب ج ٢ ص ١٧٤ .

[١٣] ملحقات فهرست ابن النديم ص ٧ وكانت نكبة البرامكة في صفر سنة ١٨٧ وفيها قتل جعفر البرمكي، وكانت خلافة المأمون عام ١٩٨ ٥ كما أن وفاة الرشيد كانت في عام ١٩٣

[١٤] الكشي ج ٣ ص ١٦٥ طبعة بومباي، تنفح المقال م ٣ ص ٢٩٤.

[١٥] وعليه اعتمدت دائرة المعارف الإسلامية.

[١٦] أنظر تعليقات الأستاذ " نبيرج " ناشر كتاب الانتصار للخياط، أما كتاب الذهبي فهو تاريخ الإسلام ويوجد مخطوطا في بعض مكاتب أوربا ولكن بعض نسخه غير كاملة على ما قيل أنظر إبراهيم بن سيار للأستاذ أبو زيد ص٥.

[١٧] الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١٣

[١٨] عن ذكر المعتزلة لابن المرتضى ص ٢٩ وحياة الحيوان ج ٥ ص ٢٩.

[١٩] مروج الذهب ج ٦ ص ٣٦٨ – ٣٦٩ من طبعة باريس.

[٢٠] أنظر إبراهيم بن سيار ص ٤ وما بعدها.

[٢١] كانت خلافة المأمون عام ١٩٨ ٥.

[٢٢] الإمام المعني هنا هو موسى بن جعفر حين حبسه الرشيد سنين طويلة.

[٢٣] وما اعتمده هشام لذلك هو استصحاب حياة الإمام المشكوك فيها الذي يرجع مفاده إلى البناء على المتيقن السابق إذا شك في بقائه وامتداده.

[٢٤] تنقيح المقال م ٣ ص ٢٩٦ .

[٢٥] تنقيح المقال م ٣ ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

[٢٦] تنقيح المقال م ٣ ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

[٢٧] المصدر السابق م ٣ ص ٢٩٥

[٢٨] أنظر منتهى المقال نقل ذلك عن غير واحد.

[٢٩] بناها الحجاج في العراق عام ٨٣ أو ٥٨٤ وسميت واسطا لتوسطها بين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد فإن بينها وبين كل واحدة من هذه المدن مقدار واحد وهو خمسون فرسخا أنظر التنبيه والإشراف ص ٣١١.

[٣٠] منتهى المقال نقله عن الكشي وتأسيس الشيعة ص ٣٦٠.

[٣١] ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٦٨.

[٣٢] التحفة للقمي فارسية.

[٣٣] تأسيس الشيعة ص ٣٦٠ ومنتهى المقال ص ٣٢٢ – ٣٢٣.

[٣٤] فهرست ابن النديم ص ٢٥٠ وملحقاته ص ٧.

[٣٥] منتهى المقال نقله عن النجاشي والخلاصة.

[٣٦] المصدر نفسه حكاه عن أبي عمرو الكشي.

[٣٧] تنقيح المقال م ٣ ص ٢٩٧

[٣٨] نفس المصدر.

[٣٩] تأسيس الشيعة ص ٣٦١.

[٤٠] تأتي آراؤه مفصلة في ذلك.

[٤١] إبراهيم بن سيار ص ٦٩.

[٤٢] الفرق للبغدادي ص ١١٣

[٤٣] نفس المصدر ص ١١٣ و ١٢٣

[٤٤] أنظر الفرق ص ١١٤ والملل أول ٣٩ والمقالات ص ٤٤ .

[٤٥] مقالات الاسلاميين ص ١٢٦ وانظر إبراهيم بن سيار ص ١٠ هامش.

[٤٦] المصدر نفسه ٣٢٧

[٤٧] المصدر نفسه ص ٣٤٧.

[٤٨] المصدر نفسه ص ١٢٥

[٤٩] الفرق ص ٤٢ .

[٥٠] الملل ص ٣٠ أنظر إبراهيم بن سيار ص ٧ هامش.

[٥١] مقالات ص ١١٩

[٥٢] أنظر مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨٢ وص ١٠٤.

[٥٣] الملل ص ٣٠.

[٥٤] مقالات بين ص ١٠٧ و ١١٣

[٥٥] عن تبصرة العوام ص ٤٩.

[٥٦] مقالات ص ١٠٧ إلى ص ١٣٣

[٥٧] تبصرة العوام ص ٥٥

[٥٨] رجال الكشي ص ١٧٢ طبعة بمبئ الهند.

[٥٩] هو الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم أحد أئمة الشيعة ولد سنة ١٢٨ هـ وتوفي ١٨٣ هـ فرق الشيعة ص – ٨٤–٨٥

[٦٠] رجال الكشي ص ١٧٢.

[٦١] الحضارة الإسلامية ج ١ ص ١٢٧

[٦٢] المصدر نفسه ص ١٠٦

[٦٣] جعفر بن محمد الصادق أحد أئمة الشيعة وإليه ينسب المذهب الجعفري لأن طائفة هامة من الفقه والأحاديث قد أخذت عنه ولد سنة ٥٨٣ وتوفي سنة ٥١٤٨

[٦٤] أنظر الحضارة الإسلامية ج ١ ص ١٢٨ طبعة ثانية.

[٦٥] أنظر مجلة الغد عدد ٢ – ٣ يونيه – يوليه ١٩٥٣ ص ١٦ – ٢٠ بعنوان: " أول ثورة في الفكر العربي ".

[٦٦] أنظر توحيد الصدوق فإن فيه المقنع الكافي.

[٦٧] أمالي المرتضى ج ١ ص ١٦٥ طبعة دار الكتب العربية وانظر الملل والنحل ص ٢٦.

[٦٨] أنظر الحضارة الإسلامية ج ١ ص ١٠٦ طبعة ثانية وشرح النهج م ١ ص٦.

[٦٩] مجلة الغد عدد ٢ – ٣ سنة ١٩٥٣.

[٧٠] عبقرية العرب ص ٣٧.

[٧١] أنظر وعاظ السلاطين ٣٩٣.

[٧٢] أمالي المرتضى ج ١ ص ١٦٥ وانظر ص ١٦٦ من الجزء المذكور وراجع الملل والنحل ج ١ ص ٢٥

[٧٣] راجع الملل ص ٣٤.

[٧٤] راجع الملل ج ١ ص ٢٦.

[٧٥] الملل والنحل ج ١ ص ٢٦.

[٧٦] الفصول المختارة ج ٢ ص ٤٠.

[٧٧] الملل والنحل ج ١ ص ٢٨

[٧٨] نسبة إلى ديصان، وهو نهر على باب من أبواب الرها كان معروفا بهذا الاسم إلى زمن المسعودي المؤرخ والديصانية قسم من أصحاب الاثنينية، ينسبون إلى أبر ديصان، كان أسقف الرها من بلاد الجزيرة وإليه تضاف الديصائية، وهي كلمة معناه ابن النهر المذكور، فقد قبل إن هذا الأسقف وجد منبوذا على شاطئ هذا النهر فأضيف إليه، أنظر التنبيه والإشراف ص ١١٣.

[٧٩] التنقيح م ٣ ص ٢٩٥

[٨٠] التنفيح م ٣ ص ٢٩٥

[٨١] الانتصار ص ٤٠ – ٤١ .

[٨٢] التنقيح م ٣ ص ٢٩٥

[٨٣] عن منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ص ٢٤.

[٨٤] إبراهيم بن سيار ص ٧٦ هامش.

[٨٥] نفس المصدر ص ٧٧ هامش.

[٨٦] الملل للشهرستاني ج ١ ص ٤٦.

[٨٧] ملحقات الفهرست ص ٧ وانظر أوائل المقالات هامش ص ٥٦.

[٨٨] عن الكشي ج ٣ ص ١٦٦ .

[٨٩] الملل ص ٤٦ ومقالات الاسلاميين ما بين ص ١٠٧ إلى ص ١٢٣

[٩٠] الملل للشهرستاني ج ١ ص ٤٦.